

تفسير البحر المحيط

@ 77 @ خبر المبتدأ وتقديره : فتعسهم □ تعساءً . فتعساءً : منصوب بفعل مضمر ، ولذلك عطف عليه الفعل في قوله : { وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ° } . ويجوز أن يكون الذين منصوباً على إضمار فعل يفسره قوله : { فَتَعَسَّاءٌ لَّهُمْ ° } ، كما تقول : زيداً جدعاً له . وقال الزمخشري : فإن قلت : على م عطف قوله : وأضل أعمالهم ؟ قلت : على الفعل الذي نصب تعساءً ، لأن المعنى : فقال تعساءً لهم ، أو فقصى تعساءً لهم ؛ وتعساءً لهم نقيض لعى له . انتهى . وإضمار ما هو من لفظ المصدر أولى ، لأن فيه دلالة على ما حذف . وقال ابن عباس : يريد في الدنيا القتل ، وفي الآخرة التردى في النار . انتهى . وفي قوله : { فَتَعَسَّاءٌ لَّهُمْ ° } : أي هلاكاً بأداة تقوية لقلوب المؤمنين ، إذ جعل لهم التثبيت ، وللكفار الهلاك والعثرة . . .

{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ° مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ° } : يشمل ما أنزل من القرآن في بيان التوحيد ، وذكر البعث والفرائض والحدود ، وغير ذلك مما تضمنه القرآن . { فَأَاحِدًا ° أَعْمَالَهُمْ ° } : أي جعلها من الأعمال التي لا تزكوا ولا يعتد بها . { دَمَّرَ اللَّهُ ° عِلْمَهُمْ ° } : أي أفسد عليهم ما اختصوا به من أنفسهم وأولادهم وأموالهم ، وكل ما كان لهم وللكافرين أمثالها . تلك العاقبة والتدميرة التي يدل عليها دمّر والهلكة ، لأن التدمير يدل عليها ، أو السنة ، لقوله عز وجل : { سُنَّةَ اللَّهِ ° فِي الَّذِينَ خَلَوْا ° } . والوجه الأول هو الراجح ، لأن العاقبة منطوق بها ، فعاد الضمير على الملفوظ به ، وما بعده مقول القول . { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ° } : ابتداء وخبر ، والإشارة بذلك إلى النصر في اختيار جماعة ، وإلى الهلاك ، كما قال : { وَلِلْكَافِرِينَ ° أَمْثَالُهَا ° } ، قال ذلك الهلاك الذي جعل للكفار بأيدي المؤمنين بسبب { إِنَّ اللَّهَ ° * مَوَّلَاهُمْ ° } : أي ناصرهم ومؤيدهم ، وأن الكافرين لا ناصر لهم ، إذ اتخذوا آلهة لا تنفع ولا تضر ، وتركوا عبادة من ينفع ويضر ، وهو □ تعالى . . .

قال قتادة : نزلت هذه الآية يوم أُحُد ، ومنها انتزع رسول □ صلى □ عليه وسلم) رده على أبي سفيان حين قال : (قولوا □ مولانا ولا مولى لكم) ، حين قال المشركون : إن لنا عزي ، ولا عزي لكم . . .

{ إِنَّ اللَّهَ ° يُدْخِلُ ° الَّذِينَ آمَنُوا ° وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ° جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ° وَالَّذِينَ كَفَرُوا ° يَتَمَتَّعُونَ ° وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ° الْأَنْعَامُ ° } . . .

{ يَتَمَتَّعُونَ } : أي ينتفعون بمتاع الدنيا أياماً قلائل ، { وَيَأْكُلُونَ } ،
غافلين غير مفكرين في العاقبة ، { كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ } في مسارحها ومعالفها ،
غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح . والكاف في موضع نصب ، إما على الحال من ضمير
المصدر ، كما يقول سيبويه ، أي يأكلونه ، أي الأكل مشبهاً أكل الأنعام . والمعنى : أن
أكلهم مجرد من الفكر والنظر ، كما يقال للجاهل : يعيش كما يعيش البهيمة ، لا يريد
التشبيه في مطلق العيش ، ولكن في لازمه . { وَالذَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ } : أي موضع
إقامة . ثم ضرب تعالى مثلاً لمكة والقرى المهلكة على عظمها ، كقرية عاد وغيرهم ،
والمراد أهلها ، وأسند الإخراج إليها مجازاً . والمعنى : كانوا سبب خروجك ، وذلك وقت
هجرته عليه السلام إلى المدينة . وكما جاء في حديث ورقة بن نوفل : يا ليتني فيها جذعاً
إذ يخرجك قومك ، قال : أو مخرجي هم . وقال ابن عطية : ونسب الإخراج إلى القرية حملاً على
اللفظ